سؤال إبراهيم

ربه أن يريه كيف يحيي الموتى

بقلم

الدكتور عبد المنعم محمود رباح

أستاذ بقسم التفسير

إن الإنسان كلما ازداد إيمانه بالله وقوى يقينه بقدرته إزداد شوقه إلى مزيد من المعرفة وقوى تطلعه إلى آفاق عليا من العلم والإدراك لأن قوة إيمان المؤمن بالله تحببه فى طلب المزيد من المعرفة به وترغبه فى عميق التأمل فى قدرته وبديع صنعه فى خلقه وعلى قدر قوة الإيمان فى قلب المؤمن يكون تشوقه إلى مراتب أعلى من المعرفة بالله ويعظم تطلعه إلى درجات عالية فى العلم بأسرار الله فى كونه .

ولهذا نقرأ فى مواجيد المتصوفة عبارات لو حملت على ظاهرها لأدى ذلك إلى الشك فى إيمانهم . مع أنهـــا فى الحقيقة تعبير عن بعض خلجات الإيمان فى نفوسهم . ونراهم فى مخاطباتهم لله يخاطبونه بدلالة المحبين ولغة العاشقين .

فحين تقول رابعة العدوية رضى الله عنها مناجية ربها :

(إلهى ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك ولكنى عبدتك لأنك أهل لأن تحب وتعبد) .

هذا القول منها فيه تنزيه لعبادتها لله عن الطمع فى الثواب أو الخوف من العقاب . فهى لا تعبد الله طمعاً فى شىء ولا خوفاً من شىء وإنما تعبده لأنه أهل لأن يحب وأن يعبد .

ومثل هذه المواجيد كثيرة فيما أثر عن المتصوفة وهى تدل على أن القوم بلغوا من صفاء الروح ونقاء السريرة بسبب قوة الإيمان فى قلوبهم درجة وصلوا بها إلى مرتبة من العلم بالله لا يترقى إليها إلا من سلك طريقهم وكابد مجاهداتهم .

فهم لذلك يترقون فى مقاماتهم على قدر عمق محبتهم لله وصدق إيمانهم به ويسألونه سبحانه وتعالى ما يسألون ويجيبهم بفضله إلى ما يسألوه .

فإذا كان هذا حال من حسنت بالله صلاتهم من غير الأنبياء . فكيف

يكون الحال مع الأنبياء الذين اصطفاهم الله لتبليغ رسالاته إلى خلقه إذا سأل الله واحد منهم مثل سؤال إبراهيم عليه السلام لربه أن يريه كيف يحي الموتى. إن هذا السؤال من إبراهيم لربه ليدل أعظم دلالة على تطلعه الدائم إلى أن يترقى فى درجات المعرفة فهو لم يسأل ليدفع عن نفسه شكا فى قدرة الله حاشاه ذلك وإنما سأل ربه ما سأل ليبلغ بهذا السؤال درجة أعلى من درجات المعرفة بعظيم قدرة الله سبحانه وتعالى.

ولو أن المفسرين اتفقوا على هذا الفهم لسؤال إبراهيم لربه أن يريه كيف يحي الموتى لأراحوا قراء كتبهم من عناء البحث عن الرأى الصحيح فيما قالوا وسوف أبدأ الآن مستعيناً بالله فى تناول الآية الكريمة مرجحاً الرأى الذى أراه فى تفسيرها.

● قال تعالى فى سورة البقرة[1]: «وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ...».

أقوال المفسرين فى سبب سؤال إبراهيم ربه أن يريه كيف يحي الموتى:

القول الأول: وقد ذكر المفسرون أسباباً متعددة لسؤال إبراهيم فعن الضحاك وقتادة: أن سبب سؤال إبراهيم ربه أن يريه كيف يحي الموتى. أنه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطير، فسأل ربه أن يريه كيفية إحيائه إياها مع تفرق لحومها فى بطون طير الهواء وسباع

---

(١) البقرة آية ٢٦٠

الأرض ، ليرى ذلك عياناً فيزداد يقيناً برؤية ذلك عياناً إلى جانب علمه به خبراً . فأراه الله ذلك مثلا . بما أخبر أنه أمره به . وقال ابن زيد :

مر إبراهيم بحوت نصفه فى البر ونصفه فى البحر . فما كان منه فى البحر فدواب البحر تأكله . وما كان منه فى البر فالسباع ودواب البر تأكله فقال له الخبيث : يا إبراهيم متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء ؟ فقال : يارب : أرنى كيف تحيي الموتى ؟ قال أولم تؤمن . قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

القول الثانى : بل كان سبب مسألته ربه ملك المناظرة والمحاجة التى جرت بينه وبين نمروذ فى ذلك . أخرج الطبرى عن ابن إسحاق قال : قال نمروذ فيما يذكرون لإبراهيم أرأيت إلهك هذا الذى تعبد وتدعوا إلى عبادته . وتذكر من قدرته التى تعظمه بها على غيره ماهو ؟ قال نمروذ : أنا أحيي وأميت . فقال له إبراهيم : كيف تحيي وتميت ؟ ثم ذكر ماقص الله من محاجته إياه . قال . فقال إبراهيم عند ذلك : « رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ... » من غير شك فى الله تعالى ذكره . ولا فى قدرته . ولكنه أحب أن يعلم ذلك . وتاق إليه قلبه فقال : ليطمئن قلبي برؤية ما تاق إليه إذ هو عليه .

ثم علق الطبرى على هذين القولين فى سبب سؤال إبراهيم بقوله إنهما متقاربا المعنى . فى أن مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى كانت ليرى عياناً ما كان قد علمه قبل ذلك خبراً .

القول الثالث : وقال آخرون أن إبراهيم سأل ربه ذلك عندما أتته البشارة بالخلة ، فسأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ليكون ذلك علامة من الله له على أنه اصطفاه خليلا ... أخرج الطبرى هذا القول عن سعيد ابن جبير .

القول الرابع : فى سبب سؤال إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى

أنه شك فى قدرة الله تعالى على إحياء الموتى . وقد استدل أصحاب هذا القول بما قاله ابن عباس عن هذه الآية من أنها أرجى آية فى القرآن لهذه الأمة وبما روى عن عطاء بن أبى رباح وهو قوله فى هذه الآية دخل قلب إبراهيم مايدخل قلوب الناس فقال : رب أرنى كيف تحى الموتى . قال أو لم تؤمن ؟ قال بلى ... ولكن ليطمئن قلبى . الآية ... ا . هـ[١] وقد انفرد الطبرى بترجيح هذا القول فى سبب سؤال إبراهيم عليه السلام.

القول الخامس : هو قول جمهور المفسرين : فقد قالوا : لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً فى إحياء الله الموتى قط وإنما طلب المعاينة . وذلك إن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أخبرت به . ولهذا قال عليه السلام : « ليس الخبر كالمعاينة » رواه ابن عباس .

قال الأخفش : لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين . وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير والربيع : سأل ليزداد يقيناً إلى يقينه[٢] .

القول السادس : هو أن سؤاله ذلك كان لقومه لا لنفسه قال الفخر الرازى موضحاً هذا القول « أنه ﷺ سأل ذلك لقومه وذلك لأن أتباع الأنبياء كانوا يطالبونهم بأشياء تارة باطلة كقولهم لموسى عليه السلام : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » وتارة حقة : فسأل إبراهيم ذلك . والمقصود أن يشاهده قومه فيزول الإنكار عن قلوبهم ... ا . هـ[٣] » .

ويضعف هذا القول : إنه لم يرد فى القرآن ولا فى السنة أن قوم إبراهيم عليه السلام طلبوا منه أن يروا بأعينهم . كيف يحيى الله الموتى حتى يكون

---

(١) الطبرى جـ ٣ صـ ٤٧ إلى صـ ٤٩

(٢) القرطبى — الشعب صـ ١١٠٥ ، ١١٠٦

(٣) الفخر الرازى جـ ٢ صـ ٣٤٣

طلب الخليل هذا لأجابهم لا له ؟ وقد حكى القرآن كثيراً من مطالب الأقوام من أنبيائهم وليس هذا منها : ولو كان هذا القول صحيحاً لقال الخليل عليه السلام «أرهم كيف تحي الموتى» ولما كان رد الله على خليله وتعليل طلبه على هذا النحو فى الآية .

القول السابع : وهو أضعف من سابقه : وهو قول من قال أن الخليل قصد بسؤاله ، أن يقدره الله على إحياء الموتى ، وإيراده السؤال بقوله «رب أرنى كيف تحي الموتى» تأدب مع الله .

قال القاضى عياض :

قال بعضهم . قوله : «رب أرنى كيف تحي الموتى» سؤال على طريق الأدب والمراد «أقدرنى على إحياء الموتى» «وقوله ليطمئن قلبى» عن هذه الأمنية أى ليسكن من هذا التمنى . ا هـ[1] .

هذا وأما القول الذى اختارة الطبرى فى سبب سؤال إبراهيم وهو أنه سأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى لشك عرض فى قلبه فردود ، لأنه يخرج الخليل عليه السلام من دائرة العصمة الواجب أن يتصف بها الأنبياء وهى العصمة عن الكفر وعن كل ماينافى الإيمان ، وليس فى الأدلة التى ذكرها الطبرى ومن ارتأوا رأيه ما يؤيد هذا الزعم الذى زعموه فقد فندها العلماء ، وأبطلوا إستدلال أصحاب هذا الرأى بها ، وقد ذكرت آنفاً أنهم استدلوا بما روى من قول ابن عباس ما فى القرآن آية أرجى منها «يعنى هذه الآية» وماروى عن عطاء بن أبى رباح أنه قال : دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس — وبما رواه أبو هريرة[2] رضى الله عنه

(١) الشفا جـ ٢ صـ ٨٩ ورسالة عصمة الأنبياء والقرآن الكريم صـ ٢٣٢ ، ٢٣٣

(٢) القرطبى — الشعب صـ ١١٠٦ — ١ — أخرجه البخارى فى كتابه التفسير جـ ٦ صـ ٣٩ الشعب .

عن رسول الله ﷺ وهو قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم : إذ قال رب أرنى كيف تحي الموتى . . وقد قال القرطبي مفندا هـــذا الرأى ، لايجوز على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مثل هذا الشك فإنه كفر والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث .

وقد أخبر الله تعالى إن الأنبياء والأولياء ليس للشيطان عليهم سبيل فقال : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان — وقال اللعين ، « إلا عبادك منهم المخلصين » وإذا لم يكن له عليهم سلطنة فكيف يشككهم . ا هـ(١) .

فقال ابن عطية ويحمل قول ابن عباس عندى أنهما أرجى آيه لما فيها من الإدلال على الله بسؤال الإحياء فى الدنيا ، أو لأن الإيمان يكفى فيه الإجمال ولايحتاج إلى تنقيب وبحث .

أما قول عطاء وهو أنه دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قـــلوب الناس فيحمل على أن الميل إلى المشاهدة والرغبة فى الإطلاع على الكيفية أمر مركوز فى الطباع وأما استدلالهم بما أخرجه الشيخان عن أبى هريرة أن النبي ﷺ قال : نحن أحق بالشك من إبراهيم .

فقد أفاض العلماء فى تأويله ودحض إجماع القائلين بشك إبراهيم به ، قال ابن عطيه وأما قول النبى ﷺ « نحن أحق بالشك فإبراهيم » فمعناه أنه لو كان شاكا لكنا نحن أحق به ونحن لانشك فإبراهيم عليه السلام أحرى ألا يشك .

فالحديث مبنى على نفى الشك عن إبراهيم والذى روى فيه عن النبى ﷺ أنه قال : « ذلك محض الإيمان » إنما هو الخواطر التى لاتثبت وأما

(١) رسالة موقف القرآن من عصمة الأنبياء للدكتور شاكر محمود أحمد ص ٥٦ .

الشك فهو توقف بين أمرين لامزية لأحدهما عن الآخر ، وذلك هو المنفى عن الخليل عليه السلام وإحياء الموتى إنما يثبت بالسمع وقد كان إبراهيم عليه السلام أعلم به بذلك على ذلك قوله : رب الذى يحيى ويميت : فالشك يبعد على من تثبت قدمه فى الإيمان فقط فكيف بمرتبة النبوه والخله والأنبياء معصومون عن الكبائر ومن الصغائر التى فيها إجماعا ، وإذا تأملت سؤاله شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول نحو قولك : كيف علم زيد؟ وكيف نسج الثوب؟ ونحو هذا ، ومتى قلت كيف ثوبك ، وكيف زيد؟ فإنما السؤال عن حال من أحواله وقد تكون (كيف) خبراً عن شيء شأنه أنه يستفهم عنه بكيف نحو قولك كيف شئت فكن ، ونحو قول البخارى كيف كان بدء الوحى (وكيف) فى هذه الآية ، إنما هى إستفهام عن هيئة الإحياء والإحياء متقرر ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء يعبرون عن إنكاره بالاستفهام عن حالة لذلك الشيء يعلم أنها لاتصح .

فيلزم من ذلك أن الشيء فى نفسه لايصح ، مثال ذلك أن يقول مدع أنا أرفع هذا الجبل ، فيقول المكذب له ، أرنى كيف ترفعه ، فهذه طريقة مجاز فى العبارة ومعناه تسليم جدلى ، كأنه يقول ، إفرض أنك ترفعه ، فأرنى كيف ترفعه .

فلما كانت عبارة الخليل عليه السلام بهذا الإشتراك المجازى خلص الله له ذلك وحمله على أن بين له الحقيقة .

فقال له : (أولم تؤمن قال بلى) فكمل وتخلص من كل شيء ثم علل عليه السلام بسؤاله بالطمأنينه ، اهـ[١] .

وقد ذكر ابن حجر آراء العلماء فى معنى هذا الحديث فقال : « ثم

---

(١) القرطبى ص ١١٠٦ — ١١٠٧

اختلفوا فى معنى قوله ﷺ «نحن أحق بالشك» فقال بعضهم معناه، نحن أشد إشتياقا إلى رؤية ذلك من إبراهيم وقيل معناه، إذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى أن لايشك، أى لو كان الشك متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم وقد علمتم أنى لم أشك فاعلموا أنه لاشك وإنما قال ذلك تواضعا منه أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم، وهو كقوله فى حديث أنس عند مسلم[1] .

أن رجلا قال للنبى ﷺ «ياخير البرية قال ذلك إبراهيم، وقيل أن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قال بعض الناس، شك إبراهيم ولم يشك نبينا فبلغه ذلك فقال: نحن أحق بالشك من إبراهيم وأراد ماجرت به العاده فى المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئاً قال مهما أردت أن تقوله بفلان فقله لى، ومقصوده لاتقل ذلك وقيل أراد بقوله نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك وإخراجه هو منه بدلالة العصمه وقيل معناه .

هذا الرأى ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان .

وحكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاءت لنفى المعنى عن الشيئين، نحو قوله تعالى «أهم خير أم قوم تبع» أى لاخير فى الفريقين ونحو قول القائل: «الشيطان خير من فلان» أى لاخير فيهما فعلى هذا فمعنى قوله (نحن أحق بالشك من إبراهيم أى لاشك عندنا جميعاً) .

ثم ذكر ما قاله ابن الجوزى وهو قوله: إنما صار أحق من إبراهيم لما عانى (يقصد نبينا عليه الصلاة والسلام) من تكذيب قومه وردهم

---

(١) القرطبى ص ١١٠٦ — ١١٠٧

عليه وتعجبهم من أمر البعث فقال أنا أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم لعظيم ماجرى لى مع قومى المنكرين لإحياء الموتى ولمعرفتى بتفضيل الله لى ولكن لا أسأل فى ذلك .

وقوله : «قال أولم تؤمن» الاستفهام للتقرير ووجهه أنه طلب الكيفية وهو مشعر بالتصديق بالإحياء ، وقوله (بلى ولكن ليطمئن قلبى) أى ليزيد سكونا بالمشاهدة المنضمة إلى اعتقاد القلب لأن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب وكأنه قال أنا مصدق ولكن للعيان لطيف معنى .

ثم قال صاحب الفتح وقال عياض ، لم يشك إبراهيم فى أن الله يحيى الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثانى بكيفيته ومشاهدته ويحتمل أنه سأل لزيادة اليقين وإن لم يكن فى الأول شك لأن العلوم قد تتفاوت فى قوتها فأراد الترقى من علم اليقين إلى عين اليقين «ا»[1] .

وقال البغوى — حكى محمد بن إسحاق بن خزيمة عن أبى إبراهيم اسماعيل بن يحيى المزنى أنه قال على هذا الحديث ، لم يشك النبى ﷺ ولا إبراهيم فى أن الله قادر على أن يحيى الموتى ، وإنما شكا فى أنه هل يجيبهما إلى ما سألا وقال أبو سليمان الخطابى ليس فى قوله ، نحن أحق بالشك من إبراهيم إعتراف بالشك على نفسه وعلى إبراهيم لكن فيه نفى الشك عنهما .

لقوله إذا لم أشك أنا فى قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لايشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم عن النفس .

---

(١) فتح البارى حـ ٦ ص ٣٢٠

وكذلك قوله : — (لو لبثت فى السجن طول مالبث يوسف لأجبت الداعى) وفيه الإعلام أن المسألة عند إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالايفيده الإستدلال .

وقيل : لما نزلت هذه الآية قال قوم شك إبراهيم ولم يشك نبينا رسول الله ﷺ هذا القول تواضعا منه وتقديما لابراهيم على نفسه ا . هـ[1] .

وهكذا يتضح بطلان إستدلال القائلين بشك ابراهيم عليه السلام بهذا الحديث ويتبين أن هذا الحديث نفسه أظهر دليل على تنزيه ساحة الخليل عليه السلام عن الشك فى قدره الله على البعث .

ولابن المنير كلام جيد فى هذا المقام لا بأس من إثباته هاهنا . قال (أما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له كيف تحى الموتى فليس عن شك والعياذ بالله فى قدره الله على الإحياء ولكنه سؤل عن كيفية الإحياء .

ولايشترط فى الإيمان الإحاطة تصورتها فإنما هى طلب علم مالا يتوقف الإيمان على علمه . ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة « كيف » وموضعها السؤال عن الحال ونظير هذا السؤال أن يقول القائل . كيف يحكم زيد فى الناس . فهو لا يشك أن يحكم فيهم ولكنه سأل عن كيفيه حكمه لا ثبوته .

ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق إلى إبراهيم شك

(١) هامش ابن كثير جـ١ صـ٣١٥

من هذه الآية وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوهم بقوله (نحن أحق بالشك من ابراهيم)أى ونحن لم نشك فلأن لا يشك إبراهيم أحرى وأولى . فإن قلت ، إذا كان السؤال مصروفا إلى الكيفية التى لا يضر عدم تصورها ومشاهدتها بالإيمان ولا تخل به فما موقع قوله تعالى (أولم تؤمن) قلت .

قد وقعت لبعض الحذاق منه على لطيفه وهى أن هذه الصيغه تستعمل ظاهرا فى السؤال عن الكيفة كما مر وقد تستعمل فى الإستعجاز . مثاله أن يدعى مدع أنه يحمل ثقلا عن الأثقال وأنت جازم بعجزه عن حمله . فتقول له . أرنى كيف تحمل هذا .

فلما كانت هذه الصيغه قد يعرض لها هذا الاستعجاز الذى أحاط علم الله تعالى بأن ابراهيم مبرأ منه أراد بقوله (أو لم تؤمن) أن ينطق إبراهيم بقوله بلى آمنت ليدفع عنه ذلك الإحتمال اللفظى فى العبارة الأولى ليكون إيمانه مخلصا . نص عليه بعبارة يفهمها كل يسمعها فهما لا يلحقه فيه . فإن قلت . قد يبين لى وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين فما موقع قول إبراهيم .(ولكن ليطمئن قلبى) .

وذلك يشعر ظاهراً بأنه كان عند السؤال فاقدا للطمأنينة قلت : معناه ولكن ليزول عن قلبى الفكر فى كيفيه الحياة لأنى إذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان فى كيفيتها المتخيلة وتعينت عندى بالتصوير المشاهد . وجاءت الآية مطابقة لسؤاله لأنه شاهد صورة حياة الموتى أ . هـ

وجاء فى كتاب تنزيه الأنبياء عن المطاعن ، جوابا عن هذه الشبهة

---

(١) الكشاف ، جـ ١ صـ ٣٩١ — ٣٩٢

ما نصه : ليس فى الآية دلالة على شك ابراهيم عليـــه السلام فى إحياء الموتى وقد يجوز أن يكون إنما سأل الله تعالى ذلك ليعلم على وجه يبعد عن الشبهة ولا يعترض فله شك ولا إرتياب وإن كان من قبل قد علمه على وجه للشبهة فيه مجال .

ونحن نعلم أن مشاهدة ماشاهده إبراهيم عليه السلام من كون الطير حيا ثم تفرقه وتقطعه وتباين أجزائه ثم رجوعه حيا كما كان فى الحال الأولى من الوضوح وقوة العلم ونفس الشبهة ماليس لغيره من وجوه الاستدلال ، وللنبى عليه السلا أن يسأل ربه تخفيف محنته وتسهيل تكليفه والذى يبين صحة ماذكرناه قوله تعالى : أو لم تؤمن قال بلى ولـكن ليطمئن قلبى .

فقد أجاب عليه السلام بمعنى جوابا بعينه ، لأنه بين أنه ﷺ لم يسأل ذلك فيه . وفقد إيمانه به وإنما أراد الطمأنينة وهى ما أشرنا إليه من سكون النفس وأنتفاء الخواطر والوساوس والبعد عن أعتراض الشبهة اهـ [1] .

ولعل فيما أثبته فى هـذا الصدد من أقوال المفسرين ما يدل على تنزيه ساحة الخليل عليه السلام عن الشك فى قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وقد قلت فى مطلع هذا الفصل أن سؤال الخليل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى كان طلبا لدرجة أرقى من المعرفة لأن الإنسان كلما إزداد إيمانه تضاعف تطلعه إلى بلوغ مراتب أرقى من المعرفة وقد أراد الخليل عليه السلام أن يترقى من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين فسأل ربه أن يريه كيف يحيى الموتى .

(١) تنزيه الأنبياء عن المطاعن .

وقد كان هو يسأل ربه فى أعلى درجات الإيمان بقدرته تعالى على إحياء الموتى يدل على ذلك جوابه بلى حين قال الله له ،

(أو لم تؤمن) يقول الشيخ سيد قطب فى ظلال القرآن « عند تفسير هذه الآية إنه (أى سؤال إبراهيم) التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية وحين يجيء هذا التشوف من إبراهيم « الأواه الحليم ، المؤمن ، الراضى ، الخاشع العابد ، القريب ، الخليل ... حين يجيء هذا التشوف من ابراهيم فإنه يكشف عما يختلج أحيانا من الشوق والتطلع لرؤية أسرار الصنعة الالهية فى قلوب أقرب المقربين أنه تشوق لا يتعلق بوجود الإيمان وثباته وكماله واستقراره وليس طلبا للبرهان أو تقوية للإيمان ،

إنما هو أمر آخر له مذاق آخر ، أنه أمر الشوق الروحى إلى ملابسه السر الإلهى فى أثناء وقوعه العملى ومذاق هذه التجربة فى الكيان البشرى مذاق آخر ، غير مذاق الايمان بالغيب .

ولو كان هو إبراهيم الخليل الذى يقول لربه ، ويقول له ربه وليس وراء هذا إيمان ولا برهان للايمان ولكنه أراد أن يرى يد القدره وهى تعمل ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيتروح بها ويتنفس فى جوها ويعيش معها وهى أمر آخر غير الإيمان الذى ليس بعده إيمان ا هـ (١)

وهذا وليس فى صيغه سؤال الخليل مايشعر بالشك ، وأن من المسلم به أنه مامن أحد إلا وهو يؤمن بأمور كثيره ايمانا يقينيا وهو لا يعرف كيفيتها ويود لو يعرفها ، فهذا التلغراف الذى ينقل الخبر من المشرق إلى المغرب فى دقيقة واحده يوقن به كل الناس فى كل بلد يوجد فيه ... ويقل فيهم العارف بكيفيه نقله للخبر بهذه السرعة ، أفيقال فيمن طلب

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٣ ص ٢١

بيان هذه الكيفية إنه شـاك بوجود التلغراف ، وطلب المزيد فى العلم والرغبه فى استكناه الحقائق والتشوف إلى الوقوف على أسرار ما فطر الله عليه الإنسان وأكمل الناس علما وفهما أشدهم للعلم طلبا للوقوف على المجهولات تشوقا ولن يصل أحد من الخلق إلى الإحاطة بكل شىء علما ، وقتل كل موجود فقها وفهما وقد كان طلب الخليل عليه السلام رؤية كيفية إحياء الموتى بعينيه من هذا القبيل فهو طلب للطمأنينة فيما تنزع إليه نفسه القدسيـة من معرفة خفايا أسرار الربوبية لا طلب للطمأنينة فى أصل عقد الإيمان بالبعث الذى عرفه بالوحى والبرهان دون المشاهدة والعيان . أ . هـ[1] .

وقد أجاب الله الخليل إلى ما سأله فأمره أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ثم يقطعهن أجزاء ثم يفرق أجزاءهن على ما يمكنه الوصول إليه من الجبال ثم يدعوهن إليه وسوف يرى كيف تعود إليهن الحياة حينما يرى أجزاء كل طائر منهن ينضم بعضها إلى بعض حتى تتكامل ثم تسعى هذه الطيور إليه بعد أن تعود بإذن الله كما كانت قبل أن يذبحها ويقطعها ويفرقها على الجبال .

(قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم أدعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم) .

وبهذا سيرى الخليل عليه السلام كيف تعود الحياة إلى الجسم الميت وكيف تتجلى قدرة الله تعالى فى جمع الأجزاء المتفرقة بعضها إلى بعض وإعادة الحياة إليها ... وليس البعث الذى أخبر الله بوقوعه يوم القيامة سوى جمع الأجزاء المتفرقة وإعادة الحياة إليهم كما حدث للطيور التى أجرى عليها الخليل ما أمره الله به .

---

(١) تفسير المنار جـ ٣ ص ٤٦